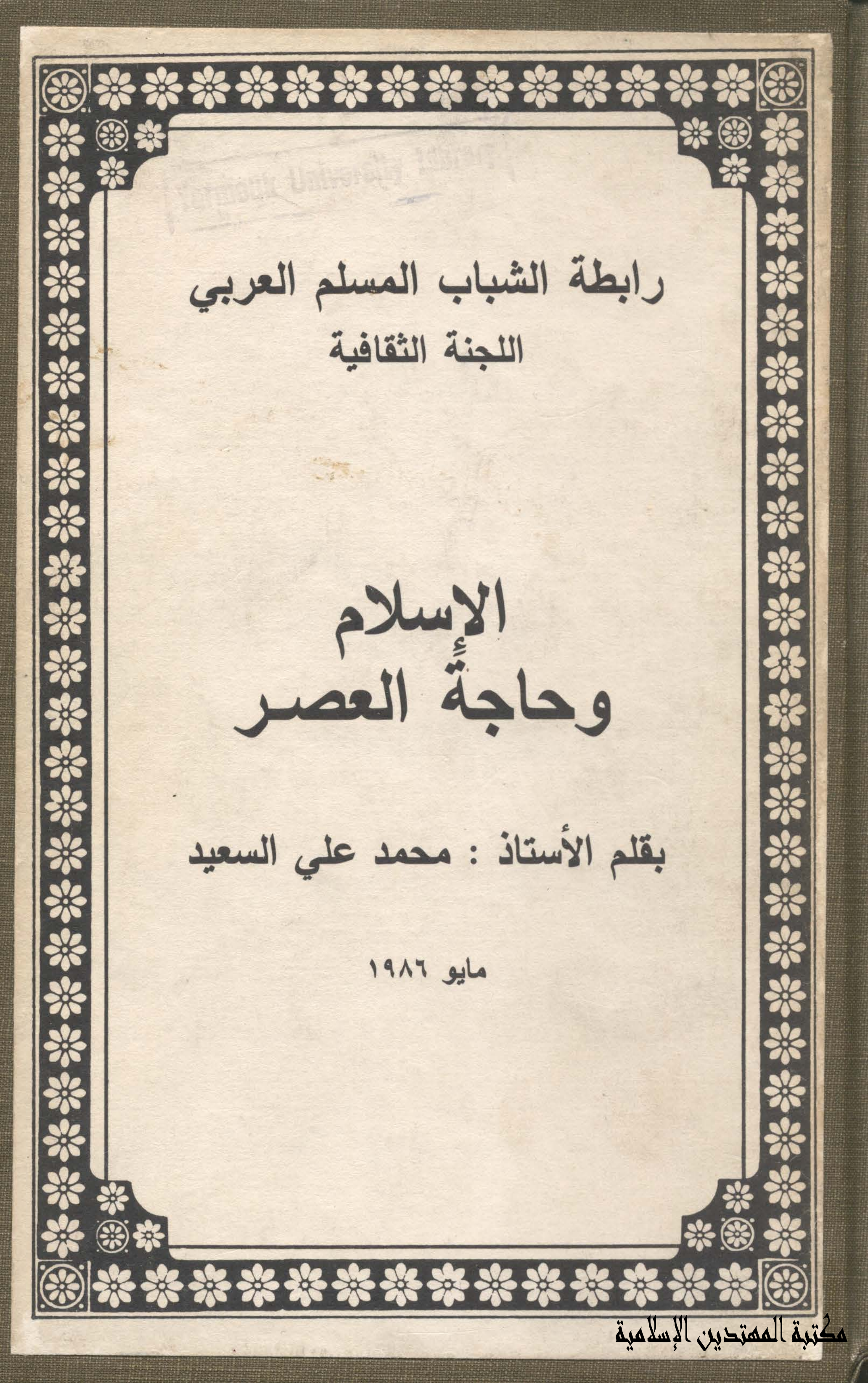


رابطة الشباب المسلم العربي
اللجنة الثقافية

الإسلام وحاجة العصر

بقلم الأستاذ : محمد علي السعيد

مايو ١٩٨٦

رابطة الشباب المسلم العربي
اللجنة الثقافية

الإسلام
وحاجة العصر

بقلم الأستاذ : محمد علي السعيد .

مايو ١٩٨٦


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

مقدمة:

رأيت أن أكتب في موضوع يشغل بال الكثيرين فيما احسب، خاصة من إخواني الشباب الباحثين عن مخرج من الأزمة التي تعيشها أمتنا التي طال ليلها وأستبد ظلامها وظلمها بالحياة والأحياء أو كاد.

ومما يضاعف من خطورة المشكلة أنها تمثل مأساة أمتنا ومأساة عصرنا في وقت واحد.

ولكي نعطي الموضوع حقه، فإنني سأدخل في الموضوع من باب قد يبدو ــ لأول وهلة ــ أبعد من أن يوصلنا الى جوهره ولكنه في الحقيقة ألصق ما يكون بهذا الجوهر وذلك لارتباطه بالإسلام في شموله وترابطه من ناحية ولارتباطه بالإنسان المتوازن الفعّال من ناحية اخرى. فالعنصر المفقود في هذا العصر هو''الإنسان المتوازن'' أو اذا شئتم هو ''التوازن في حياة الانسان''.. وفي الصفحات التالية سنرى كيف استطاع الاسلام ''إخراج'' الانسان المتوازن وهذا لعمر الحق دليل على قدرة الاسلام على إعادة التوازن المفقود.. أو بعبارة أخرى دليل قدرة الاسلام على ''إخراج'' الانسان المتوازن مرة أخرى.



روح الإسلام:

إن عظمة الاسلام لاتظهر في مواقف رجاله وسمّو تعاليمه، أو في عدالة تشريعاته وصفاء عقيدته ، أو في سموق حضارته وروعة إنجازاته ، لاتظهر في جانب من هذه الجوانب منفصلاً عن الاخريات رغم كونه ـ الاسلام ـ رائعاً وعظيماً في حد ذاته. ولكن عظمة الاسلام الحقيقية تظهر في جميع جوانبه مجتمعة وفي كل بنائه متكاملاً.

وليس بالإمكان تتبع كل جوانب هذه العظمة في بحثنا الموجز هذا ـ بداهة ـ ولو بالمثل الواحد والاشارة العابرة لكل جانب.. ولكني سأحاول مجرد التلميح الى بعض الأحداث والمواقف ، حتى نصل الى الخيط الذي يربطها جميعاً، أو الروح الذي يشع في ثناياها .. وتحس به في الظاهر والدقيق منها، الكبير والصغير على السواء، وهو ما اسماه سيد قطب ـ وبحق ـ ''روح الاسلام''[1].

وهذا الروح الذي يظهر في طبيعته هذا الدين وخصائصه، كما يظهر فيما كان سببه أو بتأثيره من احداث ضخمة وتحولات خطيرة في حياة البشر وتاريخ الانسانية، وليس في حياة وتاريخ المسلمين وحدهم أو البلاد التي فتحوها.

إن الاسلام منهج حياة شامل متكامل، كل جزئية فيه ترتبط بما قبلها، وتمهد لما بعدها، وتلتحم في الكيان العام أجمل وأكمل ما يكون الالتحام، ومن هنا تكون محاولة فصلها أو عزلها عن ذلك الكيان محاولة متعسة وفاشلة، لمخالفتها لأصول العلم وطبائع الأشياء، سواء حدثت على النطاق النظري في مجال التفسير والتبرير، أو على النطاق العملي في مجال التطبيق والتنفيذ[2].

ولذا فإن إدراك البواعث التي كانت وراء الأحداث التي صنعها أولئك الرجال الذين تمثلوا الاسلام، وسرى روحه في دمائهم وأعصابهم، بل أن فهم هذه الأحداث لايمكن أن يكون صحيحاً اذا وقفنا عند كل جزئية على حدة، نتحلاها ونعجب بها ثم نردها الى عبقرية صاحبها أو مواهبه الخاصة، ويتجلى هذا الخطأ ـ بصورة أوضح ـ اذا ما وقفنا أمام أشهر الأسماء اللامعة في الجيل الذي صنعه الوحي وتتلمذ على مدرسة النبوة ، وحاولنا أن نقارن بين تاريخها قبل الاسلام وبعده، بين ماضيها المغمور أو المجهول لقلة شأنه، وبين حاضرها اللامع المعروف بل المشرق المضيء.

تأملوا مثلاً حياة عمر وخالد وأبي بكر، ولا أقول صهيباً أو بلال أو سلمان، فهل يمكنكم أن تتخيلوا حتى إمكانية وصول هذه الأسماء الينا في هذا القرن بعد

---

١. سيد قطب ـ ''العدالة الاجتماعية في الاسلام''، ١٦٣ وما بعدها، الطبعة الثامنة.
٢. أبو الأعلى المودودي ـ ''نظرية الاسلام وهديه''، ص١٥٩، ص١٦٧.

أن عفا التاريخ على ملايين الأسماء والألقاب؟.. هل كان بالامكان التعرف على هؤلاء حتى من طريق الأساطير التاريخية فضلاً عن الأخبار التي جاوزت حد التواتر والشهرة التي بلغت الآفاق، والعظمة التي شهد بها الأعداء قبل الأصدقاء..؟

إن أحداً لا يستطيع أن ينكر كفاءات أولئك الرجال ومواهبهم التي كان لها دوراً كبيراً فيما آلوا إليه من شهرة وما حققوه من أمجاد، ولكن السؤال الذي ينبغي أن يسأل هو:

- □ أين كانت هذه المواهب.. وتلك الكفاءات؟
- □ ما الذي فجرها.. واظهرها.. بعد أن ظلت مطمورة أو مغمورة طول حياة أصحابها قبل الإسلام..؟
- □ من وجّه سيرها.. وشحذها لتعود بالنفع لا على أصحابها أو أمتهم وحدها بل على الانسانية جمعاء.. بعد أن كانت توجه في سبيل الإيذاء والعدوان.. او تستهلك فيما لا طائل وراءه في أحسن الفروض..؟؟

إن الإجابة على كل هذه الاسئلة ــ والتي لا يمكن أن تكون إلا بكلمة واحدة ــ هي التي توضح ما اردت الوصول اليه..

إن انبعاث تلك العبقريات كلها، وبروز تلك البطولات جميعاً، على مختلف المستويات وفي شتى الميادين: من التطهر الروحي والإيثار .. وأنكار الذات.. الى الفناء في العقيدة والومضات الروحية والفكرية الرائعة.. إلى الانتصارات والفتوحات الهائلة في ميادين العلوم والبلدان.. وقبل ذلك وهو الأهم في ميادين الضمائر والنفوس[1].

كل ذلك إنما مرجعه ــ ذلك الروح.. ذلك الروح الذي مس أرواح الأبطال، كما مس عجلة الزمن، وطبائع الأحداث، ودفعها جميعاً في تيار حي قوي جياش مكهرباً به المحيط ومفجراً بتأثيره إرادة الحياة في الناس والأشياء لتغذية جنين الحضارة في أحشاء الرجال.. رجال الفطرة والصحراء.. ومقياس عظمة كل عبقرية منفردة.. إنما هو استعدادها للتلقي.. لتلقي ذلك الفيض الكوني.. وقد كانت اكبر عظمة هي نبوة محمد بن عبدالله ﷺ فهي التي تلقت ذلك الفيض كله واستوعبته واحتملته ..ثم بعد ذلك تتدرج العظمات والبطولات حسب الاستعدادات والمواهب، كل بقدر ما يطيق[2].

ومن هنا ظهر ذلك الحشد الكبير من الشخصيات والحوادث التي لا تكاد تصدق لولا الشهرة والتواتر، وكان أن حُفرت في ذاكرة الزمن تلك الأسماء الخالدة

---

١. سيد قطب ــ المرجع السابق، ص١٦٤ــ١٦٥.

٢. سيد قطب ــ المرجع السابق، ص١٦٤ــ١٦٥.

بل تمثلت الفضائل في أشخاص واختصرت المآثر في رجال، بحيث لا تذكر فضيلة او مأثرة إلا واقترن بها إسم من تلك الأسماء وكأنها موقوفة عليه من ذلك التاريخ، فلا يكاد الصدق يذكر حتى يحضر مشهد الصديق.. ولا يكاد العدل يهان أو يصان حتى يتمثل بالفاروق تعجباً أو إعجاباً، ولا يكاد ذكر الشجاعة يطرق الأسماع حتى تتعلق القلوب بسيف الله المسلول.

وهكذا.. ولا عجب في ذلك فمن ذا الذي يشك في انطباق هذه الألقاب على أهلها.. أو في استحقاقهم لها..؟ بل من هذا الذي ينكر عظمة واحد من الآف الرجال أو الآف المواقف التي يزخر بها تاريخنا على مدى خمسة عشر قرناً..؟

مرة أخرى أقول انه لابد لنا إذا أردنا أن نخرج بنتيجة صحيحة من دراسة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، لابد لنا ان نرد كل تلك البطولات والخوارق التي ظهرت وتظهر على مدار التاريخ الى الخيط التي يربطها جميعاً.. والنجم الذي تستمد منه الحرارة والضوء .. أعني..''روح الإسلام'' ..فهو المحور الذي تدور حوله.. والإطار الذي تتحرك داخله...

إنه القوة التي تسيطر على المسلم.. فتفجر طاقاته وتشحن مشاعره .. في الوقت الذي تملأ فيه قلبه خشية من خالقه، وتقيم من ضميره رقيباً على نياته وحسيباً على أعماله..

ولنبدأ في استعراض بعض الأمثلة ــ حسب ما يسمح به المجال في هذا البحث ــ لتوضيح كل ما سبق .. ولا شك ان أغلب الأخوة القراء على علم واطلاع على أغلبها وعلى الكثير من غيرها..

□ هذا بلال الحبشي .. يعيش في مكة.. حياة الرق والعبودية.. لأسياده عليه حق الحياة والموت.. وليس له قِبلَهم أي حق.. هاهو ينقلب فجأة الى سيد يتحدى إرادة السادة.. بل يتصدى لقريش كلها وعلى مرأى من القوم ومسمع.. ثم ماذا بعد ذلك ..؟ يتعرض لأشد أنواع التنكيل والتعذيب، فلا يكتفي باحتمال الأذى والصبر عليه فحسب.. بل انه لا يتوقف كلما عاد الى وعيه عن ترديد شعار التوحيد.. يجسم بلسانه ما ينبض به قلبه ويعتمل في كيانه.. وكأنه يعلن للناس وللتاريخ: إنتصار العقيدة الجديدة والمجتمع الوليد.. عندما كانت سبابته تشير الى أعلى ولسانه يردد ''أحد.. أحد'' رغم احتراق جسمه تحت الحجارة المحماة وفوق ومضاء الهاجرة.. وهكذا كانت كلمات بلال بداية النهاية لمجتمع الوثنية الذي جمع حول الكعبة وحدها آنذاك نحو ٣٦٠ صنماً[١].

□ وهذا أحمد ابن حنبل .. يقف في وجه الدولة العباسية طيلة خلافة المأمون

١. أبو الحسن الندوي ــ ''ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين'' ، ص٦٣.

والمعتصم والواثق.. وذلك عندما حاول العباسيون فرض فكرة ''خلق القرآن'' التي نادى بها المعتزلة.

هاهو يُجلد حتى يشرف على الهلاك ولا ينقذه منه سوى قدر الله بطول أجله الذي تحدى كل المحاولات التي بوشرت لأعدامه ضرباً بالسوط.. ويلقى به في السجن ثمانية وعشرين شهراً.. ثم يُنفى ويختفي طول مدة المعتصم والواثق..

وعندما يراجعه بعض تلاميذه وأصحابه لدرء الفتنة عن نفسه والسباحة مع التيار بدل السباحة ضده أو على الأقل الفرار إلى شاطىء الأمان .. ولكنه يأبى أن يستكين أو يلين .. ويرد على الجميع بتلك الكلمات الرائعة التي حفظها له التاريخ: ''إن أجاب العالم تقيّة (أي اتقاء للشر والأذى) والجاهل يجهل متى يتبين الحق..''؟ ومع كل ذلك ما أن يأتيه الله بالفرج ويمكنه من خصومه حتى يعفو عن الجميع ويدعو لهم بالمغفرة..[1].

ألم يكن هذا الإمام الجليل من خير من وصل إلى قمة الفضائل الإنسانية في الثبات على المبدأ.. ونصرة الحق.. في وقت كانت فيه الدولة[2] بأسرها في جانب الباطل.

☐ وهذا رجل مغمور ــ مجهول ــ من عامة الناس، لم يعن المؤرخون حتى بإثبات إسمه، يقسم على انه لن يسري اعوجاجاً في رجل الدولة الأول، بل أقوى رجل في عصره على الإطلاق، إلا وقوّمه بسيفه.. فلا يزيد الخليفة على ان يحمد الله الذي جعل في أمته من يقوّمه بسيفه ..

---

١. على الطنطاوي ــ ''رجال من التاريخ'' ــ المطبعة الأموية ــ الثانية ــ ص٩٩،ص١٠٣ كذلك، عبد العزيز البدري.. ''الاسلام بين العلماء والحكام'' المكتبة العلمية ــ المدينة المنورة ــ ص١٥٩،ص١٨٢.

٢. الدولة بالمفهوم العام لا بالمفهوم القانوني.. وإلا فما كان الشعب مع الحكومة في هذا الموقف.. فالمقصود.. قوة الدولة وسلطانها لاعناصرها ومكوناتها على انه ينبغي الاشارة هنا إلى نقطتين هما:

أ ــ أن تبني بعض الحكام في الدولة العباسية لفكرة معينة ثم محاولة فرضها على الناس بالقوة لا يعني أن الاسلام أو الدولة الاسلامية تستخدم الاكراه أو تسمح بنشر الأفكار وتثبيتها.. بل بالعكس ان الذي حصل لم يكن إلا بسبب الانحراف عن تطبيق الاسلام في هذه الناحية بالذات، حتى ان الذي قام يعارض الدولة كان من أشهر المتمسكين بسنة الرسول ﷺ بل عُرف فيما بعد بناصر السنة.. وهذا يدل على ان الانحراف كان من جانب السلطة الزمنية وان ضحاياه كانوا من علماء الدين وفقهائه وليس كما حدث في اوروبا حيث انحرفت الكنيسة وكانت النتيجة تحريق العلماء وافتعال خصومة ظلت قائمة حتى الان في اوروبا بين الدين والعلم.

ب ــ إن المعتزلة رغم تمجيدهم للعقل واحترامهم له قد اخطاؤا في حقه بل اهانوه إهانة بالغة عندما استعانوا بالسلطة للترويج لآرائهم وإكراه الناس عليها.. فهم وإن انتصروا للعقل في كثير من المواقف إلا انهم خاصموه في هذا الموقف لولا أن هيأ الله رجالاً انتصروا له عليهم من امثال هذا الإمام الكبير.. وان دل هذا على شيء فإنما يدل على أن العقل البشري قاصر حتى في الاعتداء بنفسه واحترام ذاته لولا رحمة الله التي وسعت كل شيء.. فلابد للعقل اذا اريد له ان يبدع ويثمر من نور الوحي وتوجيهه.

ألم يكن ضمير المجتمع الاسلامي هو الذي نطق على لسان هذا الرجل المغمور؟.. ثم ألم يكن قلب الحاكم المسلم هو الذي أجاب على لسان الفاروق..؟

إن الناس في هذا العصر ــ الذي قل فيه الحكام العظام ــ يكبرون عمر في هذا الموقف، وإنه كذلك في كل المواقف، ولكن الأمر الجدير بالاهتمام حقاً هو تلك الجرأة في الحق ــ لا على الحق ــ التي طبع بها الاسلام قلوب أتباعه. فمن ذا الذي يجرؤ فى زماننا هذا على توجيه مثل ذلك الخطاب إلى أصغر مسئول ولا نقول الى ملك أو رئيس!!.

هنا تبدو عظمة الاسلام الحقيقية .. خصوصاً اذا لاحظنا أن أحسن حاكم في قرننا هذا المغتر بكل ما فيه ومن فيه ــ لا يقف بجانب الفاروق إلا كما يقف القزم الصغير إزاء أطول عملاق.

وبمناسبة هذا الحديث عن عمر.. كيف يا ترى كان هذا الرجل العظيم الرحيم ــ في آن واحد ــ قبل الاسلام.. كيف كان قبل أن يلامس روحه هذا الروح الذي نحن بصدده؟

''كان رضي الله عنه جالساً بين اصحابه إذ ضحك قليلاً ثم بكى.. فسأله من حضر فقال كنا في الجاهلية نصنع صنماً من العجوة فنعبده ثم نأكله.. وهذا سبب ضحكي ، أما بكائي فلأنه كانت لي إبنة فأردت وأدها ، فأخذتها معي ، وحفرت لها حفرة فصارت تنفض التراب عن لحيتي فدفنتها حية''[1]. وسواء أصح وقوع هذه الحادثة من الناحية التاريخية أو لم يصح فهي تصور إلى حد ما نفسية عمر قبل الاسلام ، على الأقل من حيث صلته الوثيقة بقومه الذين لا يشك أحد في انتشار عبادة الأصنام ووأد البنات بينهم في الجاهلية.

---

١. عباس محمود العقاد..''العبقريات الاسلامية'' ــ دار الأدب ــ ص٥٢٣، والأستاذ العقاد ــ يميل الى التشكيك في صحة هذه الرواية .. وهنا لي تعليق عن ذلك: قلت: إن لم تكن صادقة من حيث *وقوعها فهي ــ لاشك ــ صادقة من حيث دلالتها* ــ ويهمني هنا أن الاحظ ان التعرض لحياة الصحابة قبل الاسلام لايعني الطعن في مواهبهم أو التقليل من قيمتهم، بقدر ما يعني لفت النظر الى الدور الحضاري العظيم الذي قام به الاسلام في اخراج العباد من الظلم والظلام الى العدل والنور. والذي يعني بابراز عظمة الاسلام لايمكن ان يقال عنه انه يطعن في رجاله وخاصة خيارهم من كبار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين اذ ان هؤلاء هم خيار القوم في الجاهلية وخيارهم في الاسلام. كما جاء في الحديث الشريف: [خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا]. ولابد للباحث كي يصل الى هذه الغاية من التعرض لحياتهم في الفترتين، وهذا عين ما قصدته عند الحديث عن عمر ــ رضي الله عنه ــ ليعرف كل الناس كيف كان وكيف أصبح، وليعلم الجميع ان الانسان مهما كان عبقرياً أو عظيماً فهو بلا إسلام لايساوي شيئاً ، وليدركوا أن العظيم يزداد عظمة بهذا الدين ولا ينقص وان الاسلام هو خير من يشحذ الهمم ويفجر الطاقات ويبرز العبقريات وينمي المواهب.

واستغفر الله العظيم ان كان هذا مساس بصحابة رسول الله ﷺ .. وأضيف الى براءة القصد ان هؤلاء انفسهم كانوا يتحدثون عن حالهم في الجاهلية حتى يبرزوا للآخرين فضل الاسلام عليهم وعلى جميع الناس.. وعمر ابن الخطاب نفسه كان أول من فعل ذلك رضي الله عنه وأرضاه.

ولكم أن تتأملوا عظمة الدور الحضاري الذي قام به الاسلام ممثلاً في ذلك الانقلاب الشامل في النفوس والمشاعر لا في القيم والمعتقدات فحسب على ضوء هذه الحادثة الفذة.. فعمر نسبوا إليه دفن ابنته حيّة بعد ان نفضت التراب عن لحيته.. والذي ينقلب اليوم رجلاً آخر..''ينزع الثقة من والي لم يحنو على صغاره..'' بل لمجرد قوله ـــ الوالي ـــ ''إن لي عشرة أولاد ما قبلت أحداً منهم ولا دنا مني احداً..'' فما كان من عمر ـــ الخليفة المسلم ـــ إلا أن أمر بتمزيق كتاب الولاية وهو يقول.. ''إنه لم يرحم أولاده فكيف يرحم الرعية''[1].

وعمر الذي كان يعبد صنماً من التمر ثم يأكله حين يجوع، يصبح من الوعي والحكمة بحيث يأمر بقطع الشجرة التي تمت تحتها بيعة الرضوان مخافة أن يقدسها الناس ويتبركوا بها فتعود الوثنية إلى الأرض التي طَهرها الله منها[2]. بل يصل به بعد النظر إلى أن يرفض الصلاة داخل كنيسة القيامة مخافة أن تكون صلاته فيها سابقة يستند عليها المسلمون من بعده في تحويل الكنيسة الى مسجد[3].

أجل ما أعظمه من دين وما أعظمهم من رجال..

إن الروح الاسلامي لم يكن قاصراً في تأثيره على أحد دون آخر أو على الرجال دون النساء .. أو على ذلك الجيل الفريد من الجنسية دون بقية الأجيال.. بل انه فيض اغترف منه الجميع كل حسب استعداده للتلقي واستعداده للترقي مما لا يتسع المقام حتى لمجرد الاشارة اليه دون تفصيل[4].

فمثلاً من النساء هناك الكثير من الأسماء اللامعة والتي يحمل كل منها قصة مثيرة ويرتبط بتاريخ مجيد.. فهناك أسماء .. والخنساء .. وهناك الغامدية.. وسمية وهناك . وهناك.

ومن الشبان .. نجد مصعب وعلي وعبدالله بن عبدالله أبن أبي .. وغيرهم كثير.. وعبر كل الأجيال.. وفي جميع البيئات تتألق في سماء تاريخنا نجوم كلها تستمد جمالها وجلالها من تلك الطاقة الكبرى التي يبثها فيها ذلك الروح العظيم.. وليس بالإمكان المضي في استعراض تلك المواقف وتلك الأسماء فذلك ما تضيق عنه الصفحات بل المجلدات.

فعندما نتعرض لذكر هذه الحوادث والإشادة بتاريخنا، فما ذلك بقصد تمجيد الماضي أو البكاء على أطلاله.. وانما هو رغبة التذكير بما في ديننا العظيم من امكانات

---

١. المرجع السابق ـــ ص٥٢٢.

٢. المرجع السابق ـــ ص٤٢٥.

٣. المرجع السابق ـــ ص٤٢٥.

٤. راجع في ذلك كتيب السيرة المعتمدة والتاريخ الموثوق بها ومنها: في آخر البحث قائمة بالمراجع.

حضارية هائلة وجوانب إيجابية كبيرة.. تشهد لها تلك الانجازات الماضية وأهمها واجدرها بالذكر ما كان في عالم الانسان ــ العامل الأول والأساسي في بناء الحضارات ــ حيث أصبح رعاة الأبل وحالبوا الشاة بفضل هذا الدين رعاة أمم وشعوب ومشاعل هدى وسط دياجير الظلام.

وإذا كان ماركس قد قال لحاجة في نفسه ــ لاتخفى على قراء البروتوكولات طبعاً ــ ''إن الدين أفيون الشعوب ــ لأنه في نظره ــ يخدر الناس عن سقاء الدنيا بنعيم الآخرة.. فالحق ان هذا الوصف هو آخر وصف ينطبق على الدين وهو أول وصف ينطبق على مذهب كارل ماركس وسائر المذاهب الهدامة من وجودية وسريالية وخنفسة وتخنث.. وغيرها. فالدين ــ كما يقول الاستاذ العقاد[1] ــ يوقظ في نفس المتدين الشعور بالمسئولية ويجعل من ضميره رقيباً على نياته وأعماله، أما هذه المذاهب السود فأول ما تفعله هو اعدام هذا الشعور النبيل ــ الشعور بالمسئولية ــ في نفس معتنقها حيث تبرر جرائمه وتحبب إليه ارتكاب كل الرذائل بحجة أنه من الطبقة المسحوقة، ومن حقه ان ينتقم من ''ساحقيه'' ــ كما أفتى ماركس ــ أو حتى يتحقق ذاته ويسعد في حياته ــ كما زعم اليهودي الآخر ''فرويد''. أو لأن جميع الفضائل والاخلاق ماهي إلا أوهام من صنع الجماعة، ولا وجود لها في الواقع ومن حق الفرد الواعي ان يتخلص من مقررات ''العقل الجماعي'' كما أدعى السامري الثالث ''دركايم''[2].

وهكذا يصورون الفرد وكأنه ضحية للمجتمع فيزرعون في قلبه الأحقاد ويزينون له كل فعل من شأنه الإساءة الى المجتمع وهدمه في النهاية وتكون النتيجة ان يشقى الفرد والمجتمع معاً ويقع الجميع فريسة في حبائل هذه الأفكار المميتة لعوامل البناء الباعثة لأسباب الفوضى والتخبط ، ومن هنا تنشأ كل الأزمات والويلات التي ذاقتها وتذوقها البشرية في غيبة هذا الدين عن مسرح الحياة[3].

---

١. عباس محمود العقاد ــ ''أفيون الشعوب، المذاهب الهدامة''، مكتبة الأنجلو المصرية ص٥ وما بعدها.

٢. داركايم ــ ''التطور والثبات في حياة البشر'' ــ فصل اليهود الثلاثة.. نظرية داروين بين مؤيدها ومعارضيها ــ ص١٦٧ــ١٧٧، كذلك ،''الخطر اليهودي'' ''بروتوكولات حكماء صهيون''، محمد خليفة التونسي ــ دار الكتاب العربي ، ص٧٤،٧٩،١٢٣ــ١٢٤.

٣. راجع في ذلك مثلا كتاب: ''الاسلام ومشكلات الحضارة''، فصل عقوبة الفطرة.

الإسلام وحاجة العصر:

إن الإسلام حاجة بشرية لاتخصنا وحدنا بل هو ضرورة عالمية وانسانية يعهد بذلك هذا التمزق المتصاعد الذي يعاني منه الفرد المعاصر والمجتمع في آن واحد، وتنطق به جميع الحروب والنكبات وسائر أصناف المصائب التي منيت بها البشرية بعد تنكرها لمنهج الله وخضوعها لأهواء العبيد[1].

فالبشرية اليوم في الاحتضار، وقد أفلست جميع المذاهب والفلسفات السائدة في تحقيق سعادة الانسان، وان نجح بعضها في توفير بعض وسائل الرفاهية — على حساب ملايين المحرومين — وحتى في هذه الحالة شتان بين رفاهية المريض المترف وسعادة الصحيح المعدم[2]. فالإنسان بلا عقيدة انسان ميت استعار حياته من عالم القرود أو الببغاوات.. وهذا هو حال إنسان هذا العصر — بكل أسف — ونظرة بسيطة على تاريخه أو على الأقل على واقعه تكفي للتدليل على هذه الحقيقة.

وعندما كان الاسلام مهيمناً على الحياة، متبلوراً في شخصيات ووقائع يربط بينها منهج حياة، لم يكن من أثره ان أرسى جميع ما تطمع اليه البشرية من مثل وفضائل فحسب، بل كان أثره ان حافظ على المصالح الأساسية في الحياة أيضاً.. حتى أصبح من الأقوال الفقهية المشهورة ''**أينما وجدت المصلحة فثم وجه الله**''[3].

والمصالح التي يقررها الاسلام كأساس للتشريع خمسة أمور حددها الأصوليون من قديم وهي المحافظة على كل من:[4]

* الدين * النفس * العقل * العرض * المال

على أن تاريخ الاسلام واضح الدلالة على التزام المسلمين بالمحافظة على هذه المصالح وصيانتها.. ولكن السؤال هو: كيف كان الأمر في غيبة الاسلام ولا يزال..؟

أما قبل الاسلام فالمسألة مفهومة وان لم تكن واضحة بالدرجة المطلوبة ..واما بعده وخاصة في هذا العصر فما اكثر الجدال والمراء وما اكثر الدعاوى التي لايقوم

---

١. أبو الأعلى المودودي — ''نحن والحضارة الغربية''،''فصل أوروبا إلى الانتحار''— دار الفكر ، كذلك انظر كتاب: ''الانسان ذلك المجهول''، تأليف الدكتور الكسيس كاريل، تعريف أسعد فريد.

٢. أحمد فراج — ''نور على نور'' ، كتاب دار الهلال ، العدد ٢٥٠،ص٩١— والمرض والسعادة هنا يتعلقان بالفكر والقلب لا بالجسم والأمعاء.

٣. لاينبغي أن يؤخذ هذا القول على إطلاقه كما يفعل بعض من يستعملونه لتمييع الحدود والغاء مفاهيم الحلال والحرام أصلاً.. بل لابد من أخذه ضمن إطار عام من القواعد الشرعية والأحكام الفقهية الأخرى.. راجع في ذلك.. الدكتور محمد سعيد البوطي — من الفكر والقلب، مكتبة الفارابي — الطبعة الأولى، ص٨٦،١٠٦، كذلك كتاب محمد أبو زهرة — ''المجتمع الانساني في ظل الاسلام'' — طبعة دار الفكر، ص٤٩.

٤. محمد أبو زهرة — المرجع السابق ص٥١.

عليها برهان سوى الالفاظ الرنانة والعبارات المنمقة.. ولننظر في حال هذه المصالح بايجاز:

★ أما الدين.. فلا يجادل أحد في انتهاك حرماته وضياعها حيث تلاشت جميع الفضائل الانسانية تاركة مسرح الأحداث للقيم المادية وحيث استنكف الناس عن عبادة الله ليسجدوا عند اقدام العجل الذهبي.. حتى قال صحفي أمريكي ، يصف عبادة الشعب البريطاني: ''إن الانجليز إنما يعبدون بنك انجلترا ست أيام في الأسبوع ويتوجهون في اليوم السابع إلى الكنيسة''[1].

والحق إن هذا القول هو حال معظم الشعوب الأخرى، غير أن بعضها ــ لسبب أو لآخر ــ لاتحظى حتى بعبادة عجل من ذهب بل كثيراً ما تعبد فأراً من خشب لسوء الحظ.. وما أكثر هذا النوع من الالهة في هذا العصر.. إن الدين كمنهج حياة لا وجود له في أية دولة في هذا العصر.. بل أن حرية التدين ذاتها قد قضي عليها في معظم البلدان وبشكل ظاهر في الدول التي أعلنت الحرب على الأديان كروسيا والصين ومن هم تحت وصاية الشيوعيون بصفة عامة.. وبشكل خفي في الدول التي تحكمها دكتاتوريات رأس المال كأمريكا ومن يدور في فلكها.. وما اغتيال مالكوم إكس وحوادث الفلبين وارتيريا وغيرها عنا ببعيد.

★ وأما النفس .. فأفضل ان أدع الحديث لبعض الأرقام:

ــ بلغ عدد الأبرياء المنكل بهم على يد الكنيسة من العلماء وحدهم (٣٠٠) ألف نسمة، منهم ٣٢ ألف أحرقوا وهم أحياء[2] ، وكان منهم جاليليو وبرونو وكوبرنيكس.. وغيرهم من العلماء.. هذا عدا المجازر الطائفية ومذابح البروتستانت، حتى ان أحد ملوك بريطانيا بلغ عدد قتلاه من شعبه ١٠٠ ألف لأنهم خالفوه في المذهب لا في أصل الدين[3] .

هذا في العصور الوسطى.. أما في القرن العشرين فإن أساليب التنكيل والإبادة قد أضحت اكثر تنظيماً وعلمية ان صح التعبير. والظاهر ان الأساليب القديمة لم تشبع ــ عند القوم ــ نهم الالهة الحديثة التي لاتمنع بركاتها ــ فيما يبدو ــ إلا لمن يأتيها سابحاً أطول مسافة في بحر من الدم! حتى بلغ عدد قرابين أسرة امريكية واحدة هي أسرة البيت الأبيض ٢٤٠ ألف قتيل في يوم واحد!.. هو اليوم السادس من أغسطس ١٩٤٥... والجدير بالتأمل أن هؤلاء الاتقياء بدل من أن يؤثروا أبناء جنسهم بهذه التكرمة اختصوا بها سكان مدينتين كبيرتين من مدن اليابان هما:

---

١. الندوي ــ المرجع السابق ص٢٠١.
٢. المرجع السابق ــ ص١٩٢.
٣. سعيد حوى ــ ''الاسلام'' ــ الجزء الثاني، ص٦.

هيروشيما ونجازاكي[1].

أما روسيا فقد قتل من أجل تنفيذ الشيوعية وفرضها حوالي ١٩ مليون نسمة، ونفي عن البلاد عدد يتراوح ما بين ٤ الى ٥ ملايين نسمة، علاوة عن اولئك الذين حكم عليهم بعقوبات فادحة وبلغ عددهم ٢ مليون نسمة[2].

ويلاحظ ان هذه الجرائم تعد اعتداء على الدين والعقل في نفس الوقت..

أما في الحرب العالمية الأولى فلا يقل عدد الضحايـا وحسب احصاء (هـ . تاوتسند) عن ٣٧٫٥ مليون نسمة، وفي الحرب العالمية الثانية بلغ عدد المنكوبين خمسين مليوناً[3].

واذا اضفنا الى هذه الأعداد تلك الضحايا الهائلة لما يثيره تجار الحروب في الشرق والغرب سواء من فتن داخلية وقلائل يقتتل فيها أفراد الشعب الواحد بل الحي الواحد.. لعرفنا إلى اي مدى يُستخف في هذا العالم بنفس الإنسان وحرياته.

★ وأما بالنسبة للعقل وحرمته ضمن الأقوال المألوفة والتي يتقبلها الناس وخاصة الجهلة المتعلمين دون نقاش بل بالترحيب والتهليل: أن هذا العصر هو عصر العقل. أو هو العصر الذي انتصر فيه العقل على الخرافة والوهم...

إن هذا القول جميل في ذاته وصحيح في بعض الجوانب ولكن تعميمه يعتبر مغالطة وإهانة للعقل ذاته.. وإلا فأي عقلٍ في الدنيا ـــ ولو عقل نزلاء المصحات العقلية ـــ يوافق على شرب الخمر.. فضلاً عن أن يمتدحها؟

ـــ أي عقل ينصح بتعاطي المخدرات واتلاف الأعصاب والأموال على مواخير الرقص وموائد القمار..؟

ـــ أي عقل يرى التعري فضيلة أو يسمى الحفاء حضارة..؟

ـــ أي عقل يرى التخنث واللواط نوع من الحريات؟

وإذا كانت هذه الأمور مما تأباه العقول السليمة فبم نفسر انتشارها في العالم ..وادمان الناس على اتيانها؟.. الا يدل ذلك على أن هذا القرن هو قرن انتصار الغريزة على العقل.. وانتصار الشهوة على الفكر؟ هذه هي أكبر دولة في العالم تحرم الخمر لا عن عقيدة دينية بل بدافع المصلحة القومية فحسب.. وتسن في ذلك قانوناً يصوت عليه في كل الولايات.. فيفوز بالاجماع.. ثم تنفق الدولة الملايين من الدولارات في سبيل تطبيق هذا القانون وانجاح الحملة على الخمر.. ولكنها لا تلبث ان تفشل وتتراجع بعد ان تضاعفت الخسائر في الأموال والأرواح .. وأصبح في

---

١. من بيان إذاعة رئيس بلدة هيروشيما في ٢٠ أغسطس ١٩٤٩، قال فيه ان عدد من هلك في يوم ١٩٤٥/٨/٦ من اليابانيين يتراوح ما بين ٢١٠ الف الى ٢٤٠ الف نسمة ـــ عن الندوي ص٢٤١.

٢. سعيد حوى ـــ المرجع السابق ص٩.

٣. الندوي ـــ المرجع السابق ص٢٤٢،ص٢٤٣.

كل بيت أو بيتين خمارة غير رسمية..

ثم تأتي الانتخابات العامة على رئاسة الدولة، وبانتصار روزفلت ينتصر الخمر على الأمر ــ الأمر الدستوري بتحريمه ــ وتنتهي المشكلة الناطقة عندهم لتواصل المأساة الصامتة مسيرتها معلنة عن نفسها بشكل أكثر ايلاماً وان كان لا يثير أحداً من رجال الكونجرس أو البيت الأبيض[1].

هل أصبح الخمر فضيلة في نظر العقل الاجتماعي الذي طالب بتحريمه من قبل؟ كلا ولكن العقل نفسه بات مغلوباً على امره بعد ان بح صوته وتلاشى وسط صخب الغرائز ومهرجانات الشهوات.

★ أما عن العرض.. والمحافظة عليه فالأمر أشد وأنكى.. فالقانون لا يبيح الزنا فحسب بل هو ينظم الدعارة ويحمي المستفيدين منها من الجنسين بل وصل الانحطاط في بعض الدول أن استصدرت تشريعات تنظم الشذوذ الجنسي... وزال كيان الأسرة من الوجود أو كاد بعد أن أصبح الرجل ينام قرير العين مع بغي يسميها زوجته وعشيقة صديقه.. وفي هذا يقول عميد كلية شهيرة في باريس: ''أن عامة الشباب يريدون بعقد النكاح استخدام بغي في بيوتهم أيضاً.. ذلك أنهم يظلون مدة عشر سنين أو أكثر يهيمون في أودية الفجور احراراً طلقاء، ثم يأتي عليهم فترة من الزمن يملون تلك الحياة الشريدة المتقلقة، فيتزوجون بأمرأة بعينها، حتى يجمعوا بين هدوء البيت وسكينته، ولذة المخادنة الحرة خارج البيت''[2].

وغني عن البيان إن الإباحية الجنسية من أشد أعداء التمدن فضلاً عن خطرها الكبير من الناحية الصحية، والذي ينتشر سمه في دم الفرد والمجتمع على السواء ويظهر ذلك جلياً إذا عرفنا أن مجتمعاً لا يزال في مقتبل شبابه كالمجتمع الأمريكي قدر عدد المبتلين بالأمراض السرية الفتاكة فيه بنحو ٩٠٪ من عدد السكان ، حيث يعالج كل سنة مايقرب من ٢٠٠ ألف مريض بالزهري، و ١٦٠ ألف بالسيلان البني ويموت كل سنة من ٣٠ الى ٤٠٠ الف طفل بالزهري الموروث[3].

وما مرض (الأيدز) إلا ظاهرة ــ لاعلاج لها ــ لمثل هذا الابتلاء بالأمراض الجنسية الفتاكة حيث لا يفرق بين صغير أو كبير..

ومن نافلة القول أن يأسف المرء لاختلاط الدماء والانساب بعد ان هتكت الأعراض وضاعت الأخلاق على ان المثير حقاً هو ان يتعرض النسل ذاته لا النسب فقط للإبادة والضياع، واذا كان وأد البنات يعد السمة الأولى للجاهلية العربية فإن

---

١. المودودي ، أبو الأعلى.. ''نحن والحضارة الغربية''ــ دار الفكرــ ص٥٣ــ٦٩، فصل جيدا مدعم بالأحصائيات والأرقام.

٢. أبو الأعلى المودودي.. الحجاب ــ دار الفكر ــ ص٩٤.

٣. المودودي ــ المرجع السابق، ص١٠٩.

وأد الجنسين معاً هو مصيبة الجاهليات الحديثة.

وفي هذا الخصوص ، يقول الشيخ أبو الأعلى المودودي أن قطع النسل — في اوروبا بالذات — يعتبر هو أحد شيطانين قويين يجران الأمم الغربية الى الهلاك، فهو الذي قلب عقول رجالها ونسائها فجعلهم يستأصلون أنسالهم بأيديهم[1]، ويتمثل ذلك في انخفاض معدل التوليد بسبب انتشار عقاقير وآلات منع الحمل حتى بين المتزوجين، وقد حدس العلماء أنه يُمنع في فرنسا توليد حوالي ٦٠٠ ألف نسمة — على الأقل — كل سنة، أما الحمول التي تستعصي على تلك الحيل والتدابير، فيتخلص منها بالاسقاط، ويُمنع بهذه التدابير ٤٠٠ ألف نسمة اخرى من البروز وهذه العادة تنتشر بين البغايا والمتزوجات على حد سواء[2].

ومما زاد الطين بلة ان تنتشر حركة منع الولادة في الوقت الذي تعم فيه الدعوة الى التخنث بين الرجال، وتستشري فيه دعوة اخرى لا تقل عنها بشاعة أسماها الأستاذ ابو الحسن الندوي وبحق «حركة تذكير النساء»[3].

★ أما المال.. فلا داعي للحديث عن ضياعه في عصر انتشرت فيه القرصنة وتحكم القوي في الضعيف، وأصبحت حرية استغلال الآخرين شريعة الأغنياء والأقوياء من الأفراد والدول، خصوصاً وانتم تعلمون ان القانون يحرم سرقة الدرهم الواحد وينظم سرقة الملايين، بحيث يحمي اولئك النفر الذين يمتصون دماء الآخرين والذين قد لا يزيد عددهم عن أصابع اليد في الدنيا كلها، ومع ذلك تمكنوا من السطو على كل بيت في العالم[4]، واستطاعوا أن يمتصوا جزء من دخل كل أسرة في شكل أرباح تنتج عن الربا والمضاربات وشتى الاحتكارات والأزمات السياسية والاقتصادية وسائر أنواع السرقات ''العلمية'' او المتمدنة إن شئتم.

---

١. المودودي — ''نحن والحضارة الغربية''، ص٧٧.
٢. المودودي — الحجاب — ص٩٥،٩٩.

٣. الندوي — ''ماذا خسر العالم ...؟ — ص٢٤٥.
٤. قد يفهم هذا على أنه من قبيل المبالغة او التجوز، ولكن هذا الفهم غير صحيح ولابد للتدليل على ذلك واثبات العبارة الواردة في المتن بكل مدلولها من الاستعانة بالمثال الآتي:
* من المعروف ان عدد كبار أرباب المال والأعمال في العالم محدود جداً وإن حصيلة الأرباح تؤول في النهاية — بعد ان تمر على أيدي عدد لا يحصى من الرجال والمؤسسات والهيئات — الى قلة من الناس يتحكمون في مصير العالم ومن المعروف ان كل المصانع والشركات الكبيرة في العالم تتعامل مع المصارف وتكون النتيجة ان يتحمل المستهلك كل الفوائد الربوية التي يقوم عليها هذا التعامل، ومن هنا يتضح كيف تتم سرقة كل بيت في العالم من قبل المنتفعين في النهاية.. فالورقة التي اكتب عليها هذه الكلمات والقلم الذي استعمله وكل ما يحيط بي في الحجرة التي اجلس فيها هذه اللحظات هو ادوات واشياء مستوردة تم انتاجها في مصانع مختلفة تنتشر في اكثر من دولة ولكنها تتفق في الاقتراض من المصارف وفي تحميلي في النهاية دفع جزء من فوائد تلك المصارف.. وما يحدث معي هو عين ما يحدث مع فلاح بسيط لم يدخل في حياته مصرفاً ولكنه اضطر لشراء جرار زراعي ذات يوم.

هذا وقد كلف قتل كلِ رجل واحد في الحرب الأولى حوالي ٣٠,٠٠٠ دولار، اما مجموع نفقاتها فقد بلغ حوالي ١١٠,٠٠٠ مليون دولار وبلغت تكلفة الساعة الواحدة في الحرب العالمية الثانية حوالي ٣,٠٠٠,٠٠٠ دولار[١].

---

١. الندوي ـــ المرجع السابق ـــ ص٢٤٣.

رسالة الإسلام:

إن رسالة الاسلام التي حددها ربعي بن عامر (مندوب سعد ابن ابي وقاص إلى رستم) في ''إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة'' تطبيقاً لقول الله سبحانه وتعالى: **﴿وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون﴾** وكذلك **﴿إن الدين عند الله الاسلام﴾** . إن هذه الرسالة خالدة باقية والعالم أحوج ما يكون اليها في هذا القرن، حيث لا تزال الدنيا تضيق بأهلها وتضيق عليهم أنفسهم كل يوم بل كل ساعة.. ولا يزال جور الأديان والمذاهب ينتشر في كل لحظة موقداً ناراً وفي كل بقعة مشعلاً فتنة[1].

وإذا كان ''كيزرلنج'' يقول اننا لسنا في حاجة ان ينبئنا أحد بان الغرب ينهار، لاعتقاده بأن هذا من البديهيات التي لاتحتاج الى نبوة أو تأكيد، فانني أقول مقابل ذلك: ''إن كون خلاص البشرية هو في الاسلام ، هو الآخر بديهية لا تحتاج الى نبوة أو توكيد'' والذي ينبغي أن نؤكد عليه هو دورنا نحن، حيث يتوقف علينا التعجيل بحل الأزمة الحضارية في العالم كله.

إن الذين يضعون التقدم المادي في كفة والدين والأخلاق في كفة اخرى ثم يطالبون من البشرية أن تختار احدى الكفتين ان هم إلا أحد اثنين: جاهل بحقيقة الدين او الدنيا او بهما معاً وهذا ما يكون في الغالب... أو خبيث ماكر يعيش على بيع الخرافات والدجل على الحبال التي تشنق بها الشعوب.

والحق ان الدين الذي أنزله الله رحمة وامتن به فضلاً لا يعادي الارتقاء والتقدم وتسخير سنن الكون لخدمة الانسان، بل انه يعد كل ذلك خيراً في ذاته ـــ ما دام يؤدي الى تكريم الانسان ـــ وضرورة تكتمل بها شروط الخلافة. **﴿وإذ قال ربك للملائكة أني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال اني أعلم مالا تعلمون﴾**[2].

إن الاسلام لن يحطم الالات أو ينسف المعامل، وانما يغير الروح الانساني بحيث يجعله يسيطر على الآلة، وليست هي التي تسيطر عليه[3]، كما هو حاصل اليوم في العالم الغربي حيث أصبح الانسان مجرد ترس صغير في آلة كبيرة معقدة أو مجرد

---

١. الندوي ـــ المرجع السابق ـــ ص٢٨٥،٢٨٨.

٢. البقرة ـــ الآية ٣٠.

٣. سيد قطب ـــ ''المستقبل لهذا الدين''، ص١٠٦،١٠٧.

رقم سالب أو موجب يدرج في بنود الميزانية أو ضحايا الحرب.. ولا قيمة لوجوده كشخص.

وقد نتج عن عملية فصل الانسان عن أخيه الانسان ان بدأ الفرد يبحث عن اصدقاء ميكانيكيين يدافعون عنه ويشعر في قربهم بالأمن والسكينة فهو في كل يوم يخترع آلات جديدة رغبة في حماية نفسه، ولكن هذه الآلة لا تلبث ان تخلق حاجات جديدة ومخاوف جديدة وضماً لا يروى الى حلفاء جدد أكثر اصطناعية وتضيع روح الانسان وسط ضجيج الآلة التي تنقلب الى إله أو هي كما قال الاستاذ محمد أسد ''صنم مفترس من الفولاذ''[1].

ان من نافلة القول ان يؤكد المرء حاجة العصر إلى الاسلام او مآل البشرية الى هذا الدين وهي صائرة إليه في رصيدها من تجارب كلها تؤكد صلاح هذا الدين كمنهج شامل للحياة.. في الوقت الذي تؤكد فيه فشل الانسان بل هلاكه وتمزقه اذا ما حاول ان يخترع أو يختار منهجاً آخر غير هذا المنهج.. وهي صائرة اليه بما في فطرة الناس من خير واستعداد للتمييز بين الحق والباطل.. وأخيراً فإنها صائرة اليه مراعاة لما تقتضيه طبائع سننه وقوانينه[2].

اذا كلما تعارضت الحضارة مع الفطرة كان النصر للفطرة، وكلما تعارض نظام مع ناموس الكون الأعظم زال ذلك النظام وبقي هذا الناموس.. ﴿**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون**﴾ .

---

١. محمد أسد ــ ''الطريق الى الاسلام''، ص٣١٠.

٢. سيد قطب ــ ''المستقبل لهذا الدين''، ص١١٧، هذا الدين ص٤٤،٦٢،٩١.

نحن والإسلام:

أما تمسكنا نحن بالاسلام وارتفاعنا إلى مستواه فهو واجبنا نحو الانسانية، وواجبنا نحو انفسنا، وهو حق أجيالنا القادمة علينا.. إذ لاتفنى الأمم بانقطاع نسلها فقط وإنما تفنى بانقراض مفاهيمها واندثار حضارتها، فعندما نقول إن الأمة البابلية هلكت وانقرضت لانعني بذلك انقراض نسل أهل بابل بل نريد بذلك الحضارة التي كان أهل بابل يرفعون لوائها قد انمحت بما فيها من عقائد وقيم ومفاهيم.. أما الجيل البابلي فهو لا يزال يتناسل ويتوالد إلا أن شخصيته القومية قد انقرضت[1].

ومن هنا تظهر خطورة الدعوات الهدامة التي تهدف الى اجتثاث جذور الأمة وذلك بالتشكيك في تاريخها وأصالتها ، أو ترمى إلى الأتيان على مقومات ذاتيتها بشعوبية تمزقها أو عالمية تميعها[2].

○ الصراع الحضاري:

إن الاسلام كما كان في الماضي أساساً لوجودنا، فهو اليوم درع لصمودنا ومنبع لعزتنا وقوتنا . ولعلكم تدركون مدى العداوة التي يكنها له اعداؤنا وأعداء الانسانية من خلال المظالم الرهيبة التي أوقعوها عليه وعلينا.. بدأ بالدسائس والمؤامرات وحملات التشهير والتجريح وانتهاء بالحروب الظاهرة والخفية، والتي كان أولها ما عرف في التاريخ باسم ''الحروب الصليبية''، وهي لاتزال قائمة حتى اليوم وان سميت بأسماء جديدة تزويراً للواقع وتخديراً لشعوبنا المغلوبة على أمرها في اختيار اسم الراية التي تقاتل تحتها، وكان من نتيجة ذلك ان نشأ بيننا مستشرقون جدد يتسمون بأسمائنا ويتكلمون بلغتنا.. ويقولون ان الدافع وراء كل هذه المظالم ـــ واظهرها الحروب بالطبع ـــ حتى تلك التي سميت باسم الصليب ـــ انما هو شهوة الكسب والرغبة في جمع المال لا غير.

ولكن هذا التفسير العلمي للتاريخ كما يزعم اصحابه ـــ المادي المعنوي كما هو الحقيقة ـــ والذي يفتي به المنحرفون والمهرجون على صفحات الجرائد وعلى صفحات الكتب أيضاً، لا يلبث ان يتلاشى وينقشع ـــ كعادة الباطل دائماً ـــ اذ ما عرضته تحت ضوء أبسط الحقائق.

ماذا تقول حقائق التاريخ حول هذا الموضوع، ولندع محاولة التفسير جانباً؟

---

١. أبو الأعلى المودودي..''دور الطلبة في بناء مستقبل العالم الاسلامي''، نشر الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الاسلامية ـــ ص٨.

٢. د. محمد محمد حسين ـــ ''الاسلام والحضارة الغربية''ـــ دار الارشاد، ص١١٩.

* انها تقول الكثير والكثير[1]...ولكننا سنكتفي بأقل من القليل في هذا المقام مراعاة لضرورة الايجاز...

في سنة ١٨٨٢م وقف جلادستون في مجلس العموم البريطاني ــ حيث كان رئيساً للوزارة انا ذاك.. وقف يقول لأعضاء المجلس وقد مسك بيده النجسة نسخة من المصحف الشريف: ''إنه ما دام هذا الكتاب باقياً في أيدى المصريين.. فلن يستقر لنا قرار في تلك البلاد..[2]''.

ــ وبعد ذلك التاريخ بقليل ــ أقل من نصف قرن ــ وقف الجنرال غورو قائد الحملة الفرنسية على سوريا في دمشق وبالتحديد حول ضريح البطل صلاح الدين الأيوبي واضعاً رجله القذرة على قبره الطاهر وهو يقول: ''ها نحن عدنا ثانية يا صلاح الدين[3]''، وكان ذلك في القرن العشرين وبالتحديد عام ١٩٢٠م ولم يكن في العصور الوسطى حيث قاد الجيوش قسس ورهبان.

ــ أما زميله الانجليزي الجنرال اللنبي فإنه ما ان دخل بيت المقدس في عام ١٩١٧م وأشرف على كنيسة القيامة المسيحية حتى قال بكل نشوة وتبجح: ''اليوم انتهت الحروب الصليبية[4]''.

ــ وماذا ايضاً .. يقول نيتي ــ رئيس وزراء ايطاليا قبل العهد الفاشستي (١٩٢٠ــ١٩٢١) في كتابه ــ ''أوروبا بلا سلم''، ماترجمته:
''إن الطليان انفقوا أربعة عشر ملياراً ليشتروا غرارة رمل'' ويقصد ليبيا بالطبع[5].. فاذا كان هذا صحيحاً ، وهو صحيح بالنسبة لامكانيات ليبيا في تلك الفترة، فما الذي دعا الايطاليين الى انفاق عشرات المليارات وأكثر من ذلك ــ وهذا هو الأهم ــ التضحية بالآلاف من خيرة شبابهم في حرب ضروس كتلك التي لاتزال أثارها باقية في تلك البلاد؟

وهل كان الطليان من الحماقة بحيث اقدموا على هذه المغامرة الفاشلة أو المقامرة الخاسرة دونما هدف؟

إن الزعيم الايطالي لم يشأ ان يدون الإجابة على أمثال هذه الاسئلة في كتابه وان كان الجواب محفوراً في قلبه وفي أعصابه.. ولكن هاهو النشيد الذي كان يترنم به

---

١. راجع مثلاً في ذلك: * الغارة على العالم الاسلامي ــ ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي. * التبشير والاستعمار للدكتورين عمر فروخ ومصطفى الخالدي، * معركة الاسلام للاستاذ محمد محمود الصواف * الاسلام في مواجهة الزحف الأحمر للأستاذ الغزالي * العالم الاسلامي ومحاولة السيطرة عليه للاستاذ محمود شاكر.

٢. محمد قطب ــ هل نحن مسلمون ص١٣٣ــ١٣٤ وكذلك محمد الصباغ ــ التشريع الاسلامي وحاجتنا اليه ــ المكتب الاسلامي ص٤٣

٣. الاستاذ صالح مسعود ابو يصير ــ ''جهاد الشعب الفلسطيني''، دار الفتح ، ص٦٤.

٤. الاستاذ صالح مسعود ابو يصير ــ المرجع السابق ، ص٦٤،٦٥.

٥. الاستاذ عبد الرحمن عزام ــ ''الرسالة الخالدة'' ، دار الشروق، دار الفكر ص١٧٨.

الشبان من بني جنسه إبان الغزو الغاشم يوضح كل ما نريده.. واليكم بعض المقاطع منه:

* نشيد الغزو الايطالي[1]:

''يا أماه أتمي صلاتك .. ولا تبكي.. بل اضحكي وتأملي.. ألا تعلمين أن إيطاليا تدعوني.. وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحاً مسروراً.. سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن.. ليس بأصل للمجد من لم يمت ايطاليا حقا..

''ياأماه.. أنا مسافر.. وان لم أرجع فلا تبك على ولدك.. ولكن اذهبي في كل مساء وزوري المقبرة ونسائم الأصيل.. تحمل إلى طرابلس وداعك الذي يأبى الحداد على قبر فلذة كبدك.. وإن سألك أحد عن عدم حدادك عليّ .. فأجبيه:

إنه مات في محاربة الاسلام..''.

أجل هذا هو الجواب الصحيح ــ ايها القراء ــ على تلك التساؤلات فالحرب بيننا وبينهم كما هي في حقيقتها[2] وكما يصورونها هم دائماً: ''معركة بين الهلال والصليب'' على حد تعبير ''بيدو'' وزير خارجية فرنسا، وهو يصف الحالة في مراكش ــ المغرب قبل الاستقلال[3].

---

١. الأمير شكيب ارسلان ــ ''لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم'' ــ دار مكتبة الحياة، ص٥٢،٥٣.

٢. أعني انها حرب بين الاسلام والجاهلية ــ جاهلية النصارى وليست بين الاسلام والمسيحية ، اذ جاز ان يقال عن الاسلام الذي جاء به عيسى عليه السلام ''مسيحية''.

٣. محمد قطب ــ المرجع السابق ، ص١٢١.

لماذا يكرهون الإسلام:

انهم يحاربون الاسلام كبراً وحسداً فهو وحدة الدين القيم، وهم في الغالب موقنون بصحته ولكن اكثرهم لايملك الشجاعة أو الرغبة في اعلان هذا اليقين، وحتى الذي لايطمئن الى صحة الاسلام كعقيدة فهو مدرك لاشك لصلاحيته وفاعليته، فالذي لا يعتقد بالاسلام دينا يعتقد به حضارة.

* يقول اللورد ''هيدلي الفاروق'' وهو أمير بريطاني اعتنق الاسلام وسنه تقترب من الستين: ''اعتقد أن هناك آلافاً من الرجال والنساء مسلمون في أعماق قلوبهم ولكن الخوف يمنعهم من التصريح بهذه الحقيقة''[١].

* وفي ضوء هذا القول الشجاع نفهم قولاً آخر لرجل اشتهر بالحقد والعداء للاسلام وهو ..''ارنست رينان'' حيث يقول: ''انني لم أدخل مسجداً من غير أن اهتز خاضعاً، أي من غير أن أشعر بشيء من الحسرة على انني لست مسلماً''[٢].

* ويقول ''جب'' في كتابه ــ ''حيثما يكون الاسلام'':

''...إن الاسلام مازال في قدرته ان يقوم للانسانية خدمة جليلة سامية، وليس هناك أية هيئة سواه يمكن ان تنجح نجاحاً باهراً في تأليف الأجناس البشرية المتنافرة في جبهة واحدة أساسها المساواة''[٣].

* أما ''توينبي'' فإنه يقول بعد ان حذر من (جرثومة القومية الغربية) وبين آثارها واخطارها بالنسبة لاوروبا نفسها يقول:

''.. فإذاً ما سبب الوضع الدولي.. حربا عنصرية.. يمكن للاسلام ان يتحرك ليلعب دوره التاريخي مرة اخرى..''[٤]، ويعقب على ذلك بقوله: ''وارجو ألا يتحقق ذلك..''[٥].. أي يرجو الا يتحرك الاسلام مرة اخرى..

...هل تريدون سبباً آخر يجعلهم يحاربون الاسلام إضافة الى ما قاله ''جلادستون' و ''غورو'' و ''بيدو'' و ''جب'' و ''رينان''.. انهم يحاربون الاسلام ويكرهونه لأنه:

''قوة روحية وتنظيمية ودعوة الى قوة مادية، ولأنه صخرة مقاومة ودعوة الى أشد المقاومة.. فلا مفر للاستعمار من ان يكون عدواً لهذا الدين..''[٦].

---

١. عرفات كامل العيش ــ رجال ونساء أسلمو ــ الحلقة الثانية ــ الدار الكونية، ص٥٢.
٢. الدكتور عبد الرحمن الحجي ــ ''الحضارة الاسلامية في الأندلس''ــ دار الفتح ــ بيروت ص٦٥.
٣. عمر بهاء الدين الأميري ــ المجتمع الاسلامي والتيارات المعاصرة ــ دار الفتح ــ بيروت ــ ص٢٦.
٤. ارنولد توينبي ــ ''الاسلام والغرب والمستقبل'' ــ ترجمة د. نبيل صبحي ــ الدار العربية ــ ص٧٣.
٥. المرجع السابق.
٦. سيد قطب ــ العدالة الاجتماعية في الاسلام ــ دار الشروق ــ ص٢٥٤.

يقول برنارد لويس معبراً عن طبيعة العداء بين الاسلام والاستعمار: ''...ومنذ بدء التغلغل الغربي في العالم الاسلامي حتى يومنا هذا كانت أهم الحركات الفكرية المتميزة المهمة الأصيلة التي قامت في وجههم حركات اسلامية.. ولقد كان اهتمام هذه الحركات بمشاكل الايمان والعقيدة ، وبمشاكل الجماعة المسلمة التي سيطر عليها غير المسلمين، أكثر من اهتمامها بارض أو بلد احتله الأجانب.. وأقوى الحركات التي قامت والتي كسبت أقوى التأييد وأثارت حماس أغلب الجماهير كانت دينية شعبية في أصولها، وفي شعاراتها وفي الأسلوب الذي عبرت به عن غايتها سبيلها''[١].

عندما أعلنت بريطانيا عن عزمها في تجنيد الشباب الهندي لضرب الدولة العثمانية قبل نصف قرن اصدر (محمد علي) وبعض العلماء فتوى يحث فيها جميع المسلمين على مقاطعة وظائف الحكومة البريطانية عسكرية كانت او مدنية.. واستجاب الناس لهذه الفتوى.. ووقع الانجليز في حرج شديد.. فحاكموا (محمد علي) وبعض زملائه من العلماء ولكنه بدل أن يلين او يعتذر وقف كالأسد في قفص الاتهام ينذر الانجليز ويتوعد حتى أنه قال بكل ثقة واعتداد بالنفس..''سأعلن استقلال الهند اذا ما أحسسنا منكم أية محاولة لضرب الخلافة الاسلامية سواء بطريق مباشر أو غير مباشر..''[٢].

وفي الحرب العالمية الأولى وقع العلامة المجاهد ''سعيد النورس'' مؤسس حركة النور في تركيا[٣]، وقع أسيراً في يد الروس.. وزاره ذات يوم في معسكر الأسرى قائد روسي كبير، فوقف له الجميع باستثناء هذا العالم المسلم.. فسأله القائد: لعلك لاتعرفني.. فأجاب سعيد في لامبالاة واستخفاف..
ـــ بل اعرفك .. إنك الذي يدعى نيقولا.
فقال القائد: إذن فأنت تستهين بعظمة روسيا.
فرد سعيد بكل ثقة وهدوء: ليس كذلك، ولكن الله الذي أؤمن به قضى ان يكون المؤمنين أعلى من غيرهم وهذا يمنعني من القيام.
وكان من نتيجة هذا الموقف ان حكم عليه بالإعدام ، وحينما جيء به للتنفيذ فوجيء بالقائد نفسه يتقدم إليه قائلاً: إنني أجل فيك هذا الدين الذي أعزك الى هذا الحد، واستبدل حكم الاعدام بالنفي حيث نقل الى سيبريا ـــ جهنم الأرض..كما تسمى ـــ ولكنه تمكن من الفرار، فوصل إلى استانبول بعد جهد فوجد الانجليز قد استولوا عليها.

---

١. برنارد لويس ـــ الغرب والشرق الأوسط ـــ ترجمة نبيل صبحي، ص١٤٨.

٢. راجع مرافعته الشهيرة التي تعد بحق صفحة مضيئة في تاريخ امتنا الاسلامية المعاصرة ـــ مجلة العدالة ٨/٩.

٣. محمد سعيد البوطي ـــ ''من الفكر والقلب'' ، نبذة مختصرة عن حياة وجهاد سعيد النورس ، ص٢٥٥،٢٩٩.

وعندما تمكن هؤلاء من بسط نفوذهم على العاصمة ارادوا المؤامرة على الاسلام وتشويهه.. فوجهوا ستة أسئلة الى هيئة العلماء التي وجهتها بدورها الى ''سعيد النورس'' ليجيب عليها في ستمائة كلمة حسب طلب الانجليزي... فكان جوابه ان كتب لهم:

''إن هذه الاسئلة لايجاب عليها بستمائة كلمة .. ولا بست كلمات ولا بكلمة واحدة.. بل ببصقة واحدة على أفواه السائلين..'' ..فحكم عليه بالاعدام.. ثم خفف الحكم خوفاً من ثورة الأناضول[1].

وهكذا ترون ــ رأى العين ــ لماذا يكرهون الاسلام.. ولماذا يحاربونه.. خصوصاً اذا اقترنت في أذهانكم مواقف جعفر بن ابي طالب وربعي بن عامر مع ملوك الأحباش والفرس في القرن السابع الميلادي.. بمواقف سعيد النورس، ومحمد علي مع الانجليز والروس في القرن العشرين.. فعندها ستعرفون بكل وضوح طبيعة المعركة وحقيقتها وستدركون بواعثها وغاياتها..

---

١. المرجع السابق ــ البوطي ــ ص٢٨٠،٢٨١.

هذا التنزيل .. هذا الكتاب..

وأخيراً إذا كان المستعمرين على يقين من أن أقدامهم لن تستقر على أرض بوجود هذا الكتاب.. كتاب الله .. فمعنى ذلك ان وجودنا نحن وصمودنا مرتبط بوجود هذا الكتاب ذاته.. وان مساعينا وجهودنا لن يكون لها أدنى نتيجة ان نحن نبذناه وراء ظهورنا.. واتخذناه مجرد وثيقة تتلى على أرواح الموتى.. أو سلعة يتكسب ببيعها مكتوبة بماء الذهب أو مسجلة على أشرطة أو اسطوانات فاخرة.. دعا رواجها الى دفع بعض المحترفين الى التفنن في طبع المزيد منها وشجع الاقبال عليها شلة من الهدامين ليطالبوا بتلحين القرآن وتمثيله.. بل بلغ بهم الاستخفاف بحرمة هذا الكتاب وقدسيته ان استفتوا في امكانية تلحينه!!!

إن هذا الكتاب الخالد.. هو مفتاح جميع الأقفال في حياتنا .. وهو النور الذي تتلاشى أمامه جميع الظلمات في واقعنا.. ولا ينقصنا إلا وضعه في مكانه المناسب كما أراده الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ وكما وعاه الجيل الذي ربته مدرسة النبوة:

منهج حياة ـــ ودستور دولة ـــ وشريعة أمة

﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم...﴾

فلنبادر قبل ان تضيع الفرصة .. ونضيع معها.. وقد تضيع معنا الانسانية الحائرة في هذا العالم .. الذي يموت في كل لحظة اختناقاً بلغات المذاهب أو احتراقاً بنيران القنابل .. والذي انقلب فيه الانسان الى آلة من لحم ودم وانقلبت الآلة فيه الى صنم مفترس من فولاذ

﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يوسف:٢١

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

''المصادر والمراجع''

فيما يلي قائمة بالمصادر والمراجع مرتبة حسب الاعتماد عليها أو الاستفادة منها في هذا البحث:

١. أبو الحسن الندوي ــ (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين).
٢. أبو الأعلى المودودي ــ (الحضارة الإسلامية.. أسسها ومبادؤها)، الطبعة الأولى الدار العربية.
٣. أبو الأعلى المودودي ــ (نحن والحضارات الغربية) ــ دار الفكر.
٤. أبو الأعلى المودودي (الحجاب) ــ دار الفكر.
٥. أبو الأعلى المودودي (نظرية الاسلام وهديه) ــ دار الفكر.
٦. أبو الأعلى المودودي ــ دور الطلبة في بناء مستقبل العالم الاسلامي)، الاتحاد الاسلامي للمنظمات الطلابية.
٧. سيد قطب ــ (العدالة الاجتماعية في الاسلام).
٨. سيد قطب ــ (هذا الدين).
٩. سيد قطب ــ (المستقبل لهذا الدين).
١٠. محمد قطب ــ (هل نحن مسلمون).
١١. الدكتور مصطفى السباعي ــ (من روائع حضارتنا)، دار الارشاد ــ بيروت.
١٢. محمد أسد ــ (الطريق الى الاسلام)، ترجمة عفيف البعلبكي ــ دار العلم للملايين.
١٣. محمد أسد ــ (الاسلام على مفترق الطرق)، ترجمة عمر فروخ.
١٤. عمر بهاء الدين الأميري ــ (الاسلام في المعترك الحضاري)، دار الفتح ــ بيروت.
١٥. محمد أبو زهرة ــ (المجتمع الانساني في ظل الاسلام)، طبعة دار الفكر.
١٦. مالك بن نبي ــ (شروط النهضة)، ترجمة عمر كامل سقاوي ــ عبد الصبور شاهين ــ دار الفكر.
١٧. الأمير شكيب أرسلان (لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم)، دار مكتبة الحياة.
١٨. عبد الرحمن عزام ــ (الرسالة الخالدة)، دار الشروق ــ دار الفكر.
١٩. أحمد فراج ــ (نور على نور)، كتاب الهلال ــ العدد ٢٥٠.
٢٠. الدكتور محمد سعيد البوطي ــ (من الفكر والقلب)، مكتبة الفارابي.
٢١. برنارد لويس ــ (الغرب والشرق الأوسط) تعريب الدكتور نبيل صبحي.
٢٢. سعيد حوى ــ (الاسلام) الجزء الثاني.
٢٣. عباس محمود العقاد ــ (العبقريات الاسلامية)، دار الأدب.

٢٤. عباس محمود العقاد ـــ (أفيون الشعوب ـــ المذاهب الهدامة)، مكتبة الأنجلو المصرية.
٢٥. محمد خليفة التونسي ـــ (الخطر اليهودي ـــ بروتوكولات حكماء صهيون)، دار الكتاب العربي.
٢٦. علي الطنطاوي ـــ (رجال من التاريخ) المكتبة الأموية.
٢٧. على الطنطاوي ـــ (قصص من التاريخ).
٢٨. عبد العزيز البدري ـــ (الاسلام بين العلماء والحكام)، المكتبة العلمية ـــ المدينة المنورة.
٢٩. الدكتور محمد محمد حسين ـــ (اتجاهات هدامة في الأدب العربي المعاصر)، دار الارشاد ـــ الطبعة الثانية ـــ بيروت.
٣٠. د. محمد محمد حسين ـــ (الاسلام والحضارة الغربية)، دار الارشاد.
٣١. الدكتور عبد العزيز كامل ـــ مواقف اسلامية ـــ سلسلة إقرأ رقم ٣٢٧.
٣٢. غازي التوبة ـــ (الفكر الاسلامي المعاصر ـــ دراسة وتقويم).
٣٣. عبد القادر عودة ـــ (التشريع الجنائي الاسلامي مقارناً بالقانون الوضعي)، الجزء الأول.
٣٤. صالح مسعود بويصير ـــ (جهاد الشعب الفلسطيني)، دار الفتح ـــ بيروت.
٣٥. عرفات كامل العيش ـــ (رجال ونساء اسلموا ـــ الحلقة الثانية)، الدار الكويتية.
٣٦. د. عبد الكريم عثمان ـــ (الثقافة الاسلامية خصائصها ـــ تاريخها ـــ مستقبلها) دار الارشاد
٣٧. دار كايم..(التطور والثبات في حياة البشر ـــ فصل اليهود الثلاثة)